مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (41) العدد (1)2019
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (41) No. (1) 2019

# تقنية الاستشراف وأثرها في بناء بعض روايات" إبراهيم نصر الله"

**الدكتور حسّان الشّامي** *
**لاريسّا أحمد** **

**(تاريخ الإيداع 3 / 10 / 2018. قبل للنشر في 10 / 1 / 2019)**

## □ ملخّص □

مالت الرواية الجديدة إلى التلاعب بالبنية الزمنية ما بين تقديم وتأخير للحدث، و حذف و تلخيص وقفز.. وغير ذلك من التقنيات أو "التشويهات الزمنية" المحكومة بالقوانين– كما سماها " تودوروف"– التي أسهم استخدامها بشكل فعال في تشكيل البناء الروائي. فقد اقتحم التجريب في التقنيات السردية البنية الزمنية، مدمراً تجربة الزمن ذاتها، في سعي لتجسيد الواقع المتشظي، عبر تشكيل سردي جديد، يثير لدى القارئ الأسئلة والشك والحيرة، ويدفعه إلى استشراف مصائر الشخصيات، ونهاية الأحداث.

ويتم عادة تحديد التقنيات السردية وفقاً لمقتضيات السرد، ولما تمليه طبيعة العملية البنائية، والرؤية الفنية للكاتب الذي يمتلك القدرة على التحرك بين المستويات الزمنية، عبر اللعب بالسرد، والتحريف الزمني للأحداث..

وقد اختلفت أساليب الروائيين في اللعب بالزمن الروائي، بما يحقق غاياتهم ورؤيتهم الفنية، والكاتب إبراهيم نصرالله واحد من روائيين كثر، اهتموا بتشكيل بنية زمنية متماسكة وعميقة الدلالة في أعمالهم الروائية، بغية رصد واقع اتسم بالقسوة والعنف، و تقويض التطلعات والأحلام.

يتناول هذا البحث تقنية الاستشراف في نماذج روائية مختارة من تجربة الكاتب إبراهيم نصر الله، فيبين أهميتها وأثرها في البنية الزمنية للرواية، ويدرس أسلوب الكاتب في توظيف هذه التقنية الزمنية، واستثماره لها في صياغة بعض أعماله الروائية.

**الكلمات المفتاحية :** البنية الزمنية، السرد، الاستشراف، البناء الروائي، تقنيات الاستشراف.

* أستاذ مساعد – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية .
** طالبة دكتوراه – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية .

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (41) العدد (1)2019
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (41) No. (1) 2019

# The Technique of Prospecting and its Impact on the Constructionof Some Novels of "Ibrahim Nasrallah"

**Dr. Hassan Al-Shami** *
**Larissa Ahmad****

**(Received 3 / 10 / 2018. Accepted 10 / 1 / 2019)**

## □ ABSTRACT □

The new novel tended to manipulate the time structure between anticipating/introducing and delaying the event, deleting and jumping, and other techniques or "time distortions" governed by laws, - as Tudrof called it – the effective use of which has contributed to the formation of the novel construction/structure. Experimentation in the narrative techniques of the time structure has destroyed the experience of time itself, in an attempt to reflect the fragmentary reality through a new narration, which raises questions, doubts and confusion at the reader's side, and urges them to the foresight characters' fates and the end of the events.

The narrative techniques are usually defined according to narrative requirements, dictated by the nature of the constructional process, and the artistic vision of the writer, who has the ability to move among time levels, by playing with narration, and the chronological distortion of events.

Novelists' methods of playing with novel time differed in a way to achieve their artistic goals. Novelist Ibrahim Nasrallah was one of many novelists who were interested in creating a coherent and profound time structure in their narrative work to monitor a reality characterized by cruelty and violence, undermining aspirations and dreams.

This research deals with the technique of foresight / anticipation in selected narratives from the experience of the writer Ibrahim Nasrallah, showing its importance and impact on the time environment of the novel, and examines the style of the writer in the use of this time technique, and evoked in the formulation of his fiction.

**Keywords:** Time structure, Narrative, Orientalism, Narrative construction, Orientalism techniques.

* **Associate Professor - Department of Arabic Language - Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia - Syria.**
** **Postgraduate student - Department of Arabic Language - Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia - Syria.**

**مقدمة :**

لم تتقيد الرواية الجديدة بالترتيب الزمني للأحداث، فلجأت إلى كسر خطية الزمن، من خلال تقديم ذكر الحدث أو تأخيره داخل السياق السردي، بالاعتماد على حركتي الزمن السردي، الاستشراف والاسترجاع.

تعدّ تقنية الاستشراف الحركة الفنية المقابلة لتقنية الاسترجاع، فبينما تتجه الثانية في حركة ارتدادية نحو الماضي، تسترجع أحداثاً أو تستلهم تاريخاً، يتجه الاستشراف نحو المستقبل، متطلعاً للقادم منه، في محاولة لتوقع ما سيؤول إليه الحاضر. فالاستشراف أو الاستباق هو ( مخالفة لسير زمن السرد، تقوم على تجاوز حاضر الحكاية، وذكر حدث لم يحن وقته بعد)[1]. كما عرّفه "جيرالد برنس" بأنه ( التقنية أو الأداة الفنية التي يشار من خلالها إلى أحد المواقف أو الأحداث مقدّماً)[2].

وغالباً ما تأتي الاستشرافات تأويلاً للحاضر، بالاستناد إلى الماضي ( فالذاكرة لا تختزن الماضي إلا لأنها تتوجه إلى المستقبل)[3]. إذ تتشكل ملامح استشرافية لدى المتلقي، لما قد يحدث لاحقاً، انطلاقاً من زمن السرد. فالاستشراف قفزة زمنية استباقية لا تتصف باليقينية، بل تقوم على الاحتمالات التي تومض داخل السرد بين الفينة والأخرى، مخرجة الزمن عن مجراه الطبيعي، دافعة به نحو الأمام. ولذلك سمّى "جيرار جينيت" الاستشرافات "طلائع" أو "خدعاً"، وهي عبارة عن إشارات أو بذور استشرافية ينثرها الراوي في طيات السرد، يترك أمر اكتشافها لذكاء القارئ وكفاءته في فك الشفرة السردية، وقد تكون مجرد علامات تلميحية لن تكتسي دلالتها إلا فيما بعد، تمهّد لظهور شخصية جديدة أو وقوع حدث غير متوقع[4].

وبما أنّ (الحكاية تتطلب حب الاستطلاع)[5] برأي "فورستر"، فإن الاستباقات الزمنية تكون تشويقاً للقارئ، وإثارة لمخيلته، فيما ستؤول إليه الأحداث والشخصيات.

وقد اهتمّ الكاتب إبراهيم نصر الله بتضمين سرده استشرافات عبّرت عن تطلعات الشخصيات الروائية، وأزمتها في واقع مشؤوم، ومجتمع باتت فيه الأحلام كوابيس تثقل كاهل الإنسان، وتجعله رهين الحاضر.

وقد تمّ اختيار بعض رواياته، لتجسّد أسلوبه في توظيف هذه التقنية الزمنية.

## أهمية البحث وأهدافه:

يسعى هذا البحث إلى تقصي أسلوب الكاتب إبراهيم نصر الله في توظيف تقنية الاستشراف في بعض أعماله الروائية، فيدرس : أنواع الاستشراف وأبعاده الدلالية، ودوره في تطور السرد، وأثره في البنية الزمنية للرواية.

## منهجية البحث:

أفاد البحث من معطيات بعض الدراسات الحديثة التي تناولت الزمن الروائي وتقنياته؛ بغية الوقوف على أهمية تقنية الاستشراف في نمو حركة الزمن الروائي، وأثرها في البناء الزمني والسردي، معتمداً المنهج البنيوي في تحليل النص السردي، ودراسة دلالاته على المستوى النصي. فالمنهج البنيوي يهتم بدراسة القوانين والأنساق الداخلية للنص

**[1] زيتوني، د. لطيف: معجم مصطلحات نقد الرواية – عربي- انكليزي- فرنسي، دار النهار للنشر، لبنان، ط1/ 2002، ص15.**
**[2] برنس، جيرالد: قاموس السرديات، ترجمة السيد إمام، ميريت، القاهرة، ط1/ 2003، ص73.**
**[3] زينتشينكو، تاتيانا: الذاكرة في علم النفس التجريبي والمعرفي ، ترجمة د. بدر الدين عامود، وزارة الثقافة- الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2016م، ص19.**
**[4] ينظر جينيت، جيرار: خطاب الحكاية / بحث في المنهج/ ترجمة: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلى. المشروع القومي للترجمة، ط2/ 1997، ص 85.**
**[5] فورستر، أ.م: اركان القصة، ترجمة كمال عياد جاد، دار الكرنك، القاهرة /1960، ص 131.**

الأدبي، ويركز على العلاقة بين مكوناته؛ بغية تحديد الدلالة التي يحملها النص في داخله. فيسمح بتحليل عناصر العمل الأدبي، ودراسة علاقاتها ضمن السياق السردي، للوصول إلى تحديد البناء الكلي للنص.

## الاستشراف / أنواعه ودلالاته/:

اعتمد الكاتب نصر الله على تقنية الاستشراف بشكل كبير في صياغة عالمه الروائي، والتعبير عن حالة شخصياته الروائية، فتنوع الاستشراف لديه ما بين: معلَن (صريح)، ومضمر (ضمني)، وتلميحي (إيحائي).

يكون الأول باستخدام ألفاظ وعبارات صريحة تدل على الاستباق، بينما يترك في المضمر أمر اكتشافه واستظهاره لثقافة القارئ وذكائه، وغالباً ما نلمسه في الأحداث الرمزية، إذ يشكل الاستشراف (بذرة غير دالة لن تصبح ذات معنى إلا في وقت لاحق)[6]، أما التلميحي: فيلمح لحدث مهم، سيؤثر في الشخصيات وفي مسار الأحداث، لكنه غير محدد الملامح.

### 1 - الاستشراف المعلَن / الصريح:

هو الإعلان مباشرة عن أحداث محتملة الوقوع، وذلك عبر استخدام الصيغ المستقبلية: الإعلان الصريح بالجمل، أو تكرار صيغة الاستقبال أو العبارة الدالة على الاستشراف " ستعرف، سيكون، سنرى...". أحياناً يمدّ الراوي الزمن : " بعد سبع سنوات، سيمضي زمن طويل– تمضي بعد سنوات نحو مستقبلك– سأرى الكثير مثله فيما بعد في ليلة المذبحة ...". وأحياناً لا يحدد زمناً، بل يترك أمر انتظاره مفتوحاً أمام القارئ: "الاجتماعات الأهم بكثير في انتظاره، هذا ما سأكتشفه فيما بعد، نحو اللحظات الغامضة التالية التي تنتظره ...".

ويمكن أن نميز بين : **استشراف يتصف باليقينية، وآخر خادع يحمل في باطنه دلالة عكسية، واستشراف هذياني لا يحمل في طياته أية دلالة مستقبلية.**

فالاستشراف محتمل الحدوث ولا يتصف باليقينية، لكنه قد يخرج في بعض السياقات إلى **استباق يقيني** يؤكد وقوع الحدث القادم، كما في رواية "**طفل الممحاة**"، فقد بني النص ظاهرياً على الاسترجاع المتضمن استباقات كثيرة؛ إذ تمتد الاستباقات الداخلية في زمن القصة حتى النهاية، فعمد الراوي بين الفينة والأخرى إلى تقديم عبارة استباقية، أو تلخيص مجموعة من الأحداث التي ستقع مستقبلاً، ثم أفرد خيوطها بالتفصيل فيما بعد، متتبعاً مسار حياة "فؤاد" تدريجياً وبشكل تعاقبي متصاعد:

"حين فتحت لك الحياة دروبها لتكون ذلك الشخص الذي سيقف آخر الأمر حارساً وحيداً شامخاً على باب سيّد البلاد!!"[7].

من خلال **الاستباقات التلخيصية** قفز الراوي على الزمن سنين عديدة، وهو يستشرف مستقبلاً كبيراً لـ"فؤاد"، مستبقاً الأحداث وممهداً لها، في محاولة لتجنب رتابة السرد، وحثه على التقدم، محاذراً وقوع القارئ في الملل، وسط هذه التفاصيل التي يرويها بدقة عن حياة "فؤاد":

"لكن ذلك كان، على ما يبدو، نوعاً من درسٍ قاسٍ ستتلقاه أنتَ بالذات، حين تكون إحدى شقيقاتك، سَعْدة بالذات، هي الوسيلة التي سترفع عن عنقك سيف الموت ليحلّ الوئام بين القريتين، ويدفن الثأر للأبد"[8]. ويكرّر الاستباق في

---

**[6] بحراوي، حسن : "بنية الشكل الروائي، ( الفضاء – الزمن – الشخصية) المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 199، ص137.**
**[7] نصر الله، إبراهيم: رواية طفل الممحاة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط4، 2014م، ص33.**
**[8] الرواية السابقة، ص34.**

أكثر من موضع بهدف التشويق: " لأنّ شهوة الثأر سيمحوها إلى الأبد ذلك الجمال الآسر الذي يسكن عيني سَعدة. وبيننا الأيام .."[9].

**فالاستباقات التكرارية**، وهي نوع من الإعلان، ذات المدى القريب، (تسرد مسبقاً أحداثاً سوف يتمّ ذكرها مرة ثانية فيما بعد)[10]، وعادة ما تكون في نهاية الفصول للإعلان عن ظهور أحداث أو شخصيات في الفصل القادم، تمنح السرد حيوية، وتحدث لدى القارئ نوعاً من التشويق، وتفتح آفاق التوقع لديه لما سيطالعه من أحداث. وهذا النوع من الاستباق يسهم بشكل فعال في تنظيم المتواليات الحكائية داخل النسيج السردي، أو ما يسميه "رولان بارت" (ضَفر الحكاية)، بسبب التوقع الذي يحدثه في ذهن القارئ"[11].

كما بثّ الراوي بعض الاستشرافات طويلة المدى، لكن دون ذكر تفاصيلها، ليثير التشويق في قلب القارئ :

" ومنذ تلك اللحظة سترى عيناك ما لا سيراه أحد من أهل قريتك"[12].

نلحظ أنّ زحف الزمن بطيء وسط كثرة التفاصيل، المتضمنة نكبة فلسطين، وما جرى فيها من وقائع، هذا الإسقاط التاريخي على الحاضر جاء مثقلاً بالاستشرافات التي تستشرف مستقبل الأمة، فأسهمت الاستباقات وخاصة التكرارية في ربط الوحدات بعضها ببعض، من خلال حركة الزمن المتواصلة والدؤوبة لنسج البنية الحكائية.

وفي رواية "**شرفة الهذيان**" وظف العبارات الاستباقية بشكل صريح وواضح (سنأتي على ذكر السبب لاحقاً)[13]، وحرص على وضع العبارات الاستباقية داخل قوسين؛ لضبطها وتمييزها من السرد الذي بدا كالهذيان، وهذه الاستباقات الصريحة أكسبت السرد حيوية ودفعاً إلى الأمام، فأسهمت في سرعة إيقاعه وكسر رتابته.

وفي رواية" **تحت شمس الضحى**" أتى الاستشراف معلناً عن غياب "ياسين"، دون تحديد السبب:

"بعد سبعة أيام، وجدتها مزروعة هناك في فناء البيت، مجموعة هائلة من شتلات أزهار الزنبق. حين رأتها أم الوليد اندفعت دموعها تجري، لقد باتت متأكّدة من أنّها لن تراه، منذ الآن، كما كانت تراه من قبل"[14].

إحساس "أم وليد" بأنها لن ترى "ياسين" مرة أخرى، أعلن صراحة، بعبارة "لن تراه كما كانت تراه من قبل " لكن الاستشراف ظلّ مفتوحاً، يثير تفكير القارئ حول السبب الذي سيغيّب "ياسين"، ويكون التوقع باعتقاله للمرة الثالثة. ولن يطول الاستشراف حتى يتحقق في نهاية الرواية، لكن باغتيال قوات الاحتلال لياسين المناضل، هذه النهاية التي شكلت قتلاً للفكر وللمقاومة، وخاصة بعد أن أكمل "سليم نصري" اغتيال "ياسين" للتأكد من موته، بإطلاق رصاصة على رأسه منهياً حياته للأبد:

" أطلّت عين المسدس فارغة عمياء. تحرّكت الفوهة باتجاه ذلك الرأس، واستقرت تماماً في منتصف تلك الابتسامة. انفجر دويّ الرصاصة، فبدت الابتسامة قبل أن تنطفئ للأبد، أكثر اتّساعاً في ضوء ذلك الوميض الوحشي"[15].

وفي المقابل قد تكون **الاستشرافات المعلنة خادعة**، لا تتحقق دلالتها خلال سير الأحداث، بل تكون دلالتها عكسية تفاجئ القارئ، وهي (تلك الاستشرافات التي يلجأ إليها الكاتب كلما أراد تضليل القارئ، أو رغب في تمويه خطته السردية)[16]. كما في رواية "**شرفة رجل الثلج**" الاستشرافات خادعة دائماً، تتراوح بين يقينية بتحقق حلم "بهجت"، و

---

**[9] الرواية السابقة، ص37.**
**[10] برنس، جيرالد: قاموس السرديات، ص158.**
**[11] ينظر جينيت، جيرار: خطاب الحكاية، ص 82/81.**
**[12] نصر الله، إبراهيم: رواية طفل الممحاة، ص44.**
**[13] نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة الهذيان، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط5، 2015 م، ص133.**
**[14] نصر الله، إبراهيم: رواية تحت شمس الضحى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط7، 2015م، ص153.**
**[15] نصر الله، إبراهيم: رواية تحت شمس الضحى، ص175/174.**
**[16] بحراوي ، حسن: بنية الشكل الروائي، ص 136**

تلميحية بإخفاقه، ما يزيد من نسبة التوتر في الرواية، ويدفع القارئ لتتبع مصير الشخصية بفضول وشغف دون الإحساس بملل. ويسهم المدّ والجزر في زيادة نسبة الاحتمالية فيما ستكون عليه حال الشخصيات، كما في توقعات "أم بهجت"، واستشرافها مستقبلاً مشرقاً لولدها:

" بعينيها الواسعتين الجميليتين المشرعتين دائماً على المستقبل، راحت تراقب مهرجان الألوان معه بفرح طفلة صغيرة، وقالت له في موجة عاطفة جارفة:" أراهنك أن هذه البهجة ستكون في انتظارك دائماً !! وصدق ظنها"[17].

تأتي العبارة الأخيرة" وصدق ظنها"، لتخلق إيهاماً بتحقق مستقبل مشرق لبهجت، والصحيح أن تأويل العبارة يأتي جزئياً، فصدق ظنها بحصوله على عمل، لكنه حمل معه بذور الكارثة، بما خبّأه من امتحانات ومفاجآت انقلبت عليه وبالاً، ليكون التأويل عكسياً لظنها: "لم يكن يتخيل أن المستقبل أعدّ له من المفاجآت ما لا يمكن احتماله!"[18].

وعلى الرغم من تمرير الراوي لعبارات استباقية واضحة حول إمكانية نجاح بهجت:" الأوان قد آن لأخرج لسطح الدنيا"[19]. فإنّ بوادر الإخفاق تعلن عن نفسها منذ البداية؛ إذ تنبئ الحوادث التي تمرّ به، والتي يستعرضها مراراً في ذاكرته، عن ألمٍ وحسرةٍ، وتؤذن بنهايته، وقد صرّح بها الراوي مراراً بقوله :" بهجت لم يكن أكثر من صحفي فقد اللقمة الكبيرة بعد أن أصبحت أمام فمه، بل في داخل الفم"[20]. وفي قوله: " لعلهم لو فعلوا وعينوه في ذلك القسم – قسم الرياضة–، لأراحوه من تلك التجربة المريعة التي ستقضّ مضجعه، وتعصف بحياته في جوف تلك العاصفة التي تنتظره على عتبات المستقبل!"[21]. وغيرها من الاستباقات الصريحة والمباشرة التي أدّت دوراً في التضليل الحكائي. فعلى الرغم من أنّ الحلم بسيط "لم أكن أحلم بشيء أكثر من عمل لا ينتهي"[22]، فإنّ عبثية الحياة، قلبت الأمور والحظوظ، وبدل أن يتصدّر اسمه الصفحة الأولى بسبق صحفي، احتل اسمه الصفحة الأولى بخبر مأساوي عنه، خبر فقء عينيه من قبل مجموعة من الغربان.

يأتي هذا اللون من الاستشراف نوعاً من ابتداع الوهم الذي يحقق المتعة، فالرواية بحسب لوبوك (تفتح عالماً جديداً أمام الخيال، ومن الممتع أحياناً أن نكتشف ذلك في بعض الروايات، إنه العالم الذي " يبدع الوهم" والذي نرتضي الضياع فيه بكل سرور)[23]. ففي رواية" **قناديل ملك الجليل**" أدّت لعبة القناديل دوراً في إيهام القارئ بمصائر الإخوة الأربعة، وهي انتهت بالتنبؤ بموت "ظاهر" أولاً:

" مثلهم، كانت الشعل الأربع تلفظ أنفاسها الأخيرة، هم الذين باتوا على وشك معرفة ترتيب وداعهم لهذه الدنيا بعد قليل!

مالت شعلة ظاهر، اعتدلت، ثم سقط رأسها في الظلام

رفع رأسه. كانوا قد تحوّلوا إلى شبه أموات.

قال: انتهت اللعبة، وفزتم!"[24]

---

**[17] نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة رجل الثلج، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط3، 2014م، ص23.**

**[18] الرواية السابقة، ص19.**

**[19] الرواية السابقة، ص124.**

**[20] الرواية السابقة، ص158.**

**[21] الرواية السابقة، ص15.**

**[22] الرواية السابقة، ص202.**

**[23] لوبوك، بيرسي: صنعة الرواية، ترجمة د. عبد الستار جواد، دار مجدلاوي، عمان ط2 / 2000 م – 1420هـ/ ص 17.**

**[24] نصر الله، إبراهيم: رواية قناديل ملك الجليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط5، 2014م، ص42.**

لكن الكاتب بثّ عقب انتهاء اللعبة مباشرة كثيراً من الاستشرافات التي تشكك بنتيجتها، وتشكل استشرافاً مناقضاً بطول عمر ظاهر، ويأتي ذلك، بشكل ضمني، على لسان الشخصيات، عبر"نجمة" الأم الروحية لظاهر:

" بعد وقت طال هزّته. فتح عينيه: هذا يكفي ! لا أريدك أن تتحول منذ الآن إلى حصان، أو حتى إلى جبل، فالطريق أمامك طويل!"[25].

وعلى لسان ظاهر الذي بدا لا مبالياً بما حكمت به القناديل: "قفز على ظهر حصانه. كانوا صامتين. التفت إليهم وقال تلك الجملة التي عذّبتهم أكثر: اطمئنوا، لن أموت اليوم!"[26].

"اختفى ظاهر من جديد. لكن اختفاءه لم يعد مقلقاً لأحد، فقد كانوا يعرفون، أنه سيعود آخر الأمر.

وعاد،

كان مختلفاً: بدا أطول وأصلب وأشد إقبالاً على الحياة من قبل.

....

– أنا أخاف من الموت، لكن انطفاء قنديلي قبل انطفاء قناديلكم، لا يمكن أن يخيفني، سأدفع الموت ما استطعت إلى خارج طبرية، ولعلي أستطيع أن أدفعه أبعد من ذلك في يوم ما!"[27]

تشكل الاستشرافات السابقة وغيرها من الاستشرافات التي تخللت السرد على مدار الرواية، تعارضاً مع التنبؤ الذي ورد في بداية الرواية، ممّا يثير الشك والغموض لدى القارئ، ويبدو متحفزاً لمعرفة صدق النبوءة، ويأتي استشراف القناديل خادعاً في منتصف الرواية؛ إذ تنقلب النبوءة في الصفحة / 191 / بموت "صالح" أولاً، شنقاً بأمر من وزير دمشق، لينتقل الموت إلى إخوته، وآخرهم "ظاهر" الذي عمّر طويلاً حتى بلغ الثمانين من عمره، وعمّر وطناً مستقلاً يمتد من الجليل إلى عكا، قوامه العدل والحرية والتسامح، في رحلة طويلة لاستعادة الهوية العربية، وتكوين أساس جديد لها ممتد الجذور، وتحوّل جسده بموته " إلى أكبر شعلة قنديل يمكن أن يراها أحد تحت شمس، راحت تتقد وتعلو وتعلو."[28]

كما وظّف الكاتب **استباقات وهمية**، جاءت مجرد انعكاسات للحالة النفسية المتأزمة للشخصيات. فشدة الخوف دفعت "بهجت" لتوقع أحداث قبل حصولها، وتأويل نتائجها:" ماذا لو فعل أمراً كهذا في غرفة التحرير؟ تساءل، وأجاب:" لن يطردونني فقط، سيعدمونني بالتأكيد!"[29].

كذلك حين أخبرته زوجته بأنها ستلد، دهمه فزعٌ غريب لم يعرف له مثيلاً، فراح يستبق ولادة زوجته، ويتخيل ما ستفعله فروع الأمن بمولوده الجديد:" أحسستُ أنّ ما في بطنها، ولداً كان أم بنتاً، سيهبط من رحم أمه إلى ذلك الملف الازرق مباشرة، وانه سيبكي فيه، ويتناول الحليب، ويحبو فيه، ويقول أول كلماته فيه، ويمشي فيه، ويتعلّم فيه، ولن يصل الجامعة، فيه، بل لعله، يمضي لمعهد المحاسبة نفسه فيه، وسيتزوج وينجب ويحلم، مثلي، بالصين، دون جدوى، فيه، وسيموت في النهاية فيه، ويربطني بقيود لا فكاك منها، معه، فيه" [30].

أتى الاستباق بصيغة هذيان متضمناً استرجاعاً لحياة "بهجت"، كاشفاً عذاب سنين طويلة، ودوامة الحياة المغلفة بالصمت والكبت والقمع، وموت الأحلام. أجيال تعيش كالأجيال السابقة، دون أن تتمكن من رفع رؤوسها أعلى مما

**[25] الرواية السابقة، ص43.**
**[26] الرواية السابقة، ص44.**
**[27] الرواية السابقة، ص54/53.**
**[28] الرواية السابقة، ص552.**
**[29] نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة رجل الثلج، ص148.**
**[30] الرواية السابقة، ص265.**

يسمح لها، وكما انتهى "بهجت" كأمه "رويتر" نهاية غير متوقعة، يستشرف نهاية مماثلة لمولوده القادم في حالة من الهذيان.

وعادة ما جاء هذا النوع من الاستباق مفرغاً من أية دلالة مستقبلية، وقد حرص الكاتب على تقديمه بأسلوب ساخر لإكساب السرد حيوية، ولتعميق حالة الوهم والهذيان، في كشفٍ معمّقٍ لواقعٍ محكوم بسلطة أمنية، وإجراءات صارمة، جعلت من اليأس في النهاية حلاً مريحاً، و(أسوأ أنواع اليأس ينقضّ كالضربة المفاجئة، فينسلّ إلى الحياة وينتشر بشكل لا يدركه العقل)[31].

## 2- الاستشراف المضمر / الضمني:

يكون هذا الاستشراف في المشاهد والأحداث الرمزية عادةً، ويتسم بكونه بعيد المدى، يؤذن بنهاية الشخصيات الحتمية. وفي هذا النوع يتعين على القارئ ربط الأحداث وفك دلالاتها؛ ليتوقع نهاياتها التي ستصل إليها. وقد تمّ ذلك عبر توظيف الكاتب لوسائل جعلت السرد محمّلاً بالتأويلات والاحتمالات: كالحلم، والحدث الرمزي، و تكرار عبارة،... وخاصة في الروايات التي تناولت الأوضاع الاجتماعية والسياسية بشكل مرمز.

فقد (يتخذ الاستباق أحياناً شكل حلم كاشف للغيب، أو شكل تنبؤ، وافتراضات صحيحة نوعاً ما بشأن المستقبل)[32]. **فالحلم** تلك الرؤية المكرهة، كما يسميها "سعيد يقطين"، (يدخل ضمنه ما يتراءى للمرء من حديث النفس وآمالها ومخاوفها وأحزانها)[33]. فللحلم لغته الرمزية الخاص، لما تحمله من تأويلات تنفتح على الزمن القادم، وقد يكون مجرد هلوسة وهذيان، يعكس الحالة النفسية المتعبة للشخصية.

وهذا ما نجده في رواية " **شرفة الهذيان**"؛ إذ يأتي الاستشراف مثقلاً بالاحتمالات، فـ (هذيانات اليوم يمكن أن تكون حقائق الغد)[34]، وما رآه "رشيد النمر" في منامه الأشبه بالهذيان، لم يطل مداه حتى تحقق، وأصبح "زعيماً يتبعه جيش كامل من ظلال الرجال"[35].

فعالم السرد في الحلم هو ما فوق واقعي، وقد استخدم الكاتب فيه الإيهام السردي المسرحي والسينمائي، ليقدم الأحداث في صيغة حلمية، كما في حلم "رشيد النمر" بالاحتفال الكبير؛ إذ وظّف فيه الكاتب تقنية التصوير السينمائي "زووم آوت"، وكاميرا ترصد عودة قائد كبير مجلل بالنصر وأوسمة الشرف، عربات، وغبار، ودخان، وسط زحام من الجنود ذات الجباه الممزقة بثقوب سوداء:

"على شكل عجيب بفيلم قصير كان الحلم الذي عبر مخيلته:

في الخلف دخان معركة

في المقدمة عربات عسكرية تتقدم ملتفة بالغبار

في الأفق صيحات نصر

لكن المشهد برمته لا تميزه العين

(ذكره ذلك بمشهد من (لورانس العرب) .....

أمّا الذي حيّره أكثر فهو:

---

[31] **لوبوك، بيرسي: صنعة الرواية، ص 208.**

[32] **زيتوني، د. لطيف: معجم مصطلحات نقد الرواية – عربي- انكليزي- فرنسي، ص16/15.**

[33] **يقطين، د. سعيد: السرد العربي- مفاهيم وتجليات، دار رؤية ، القاهرة/ ط1/ 2006، ص 233.**

[34] **بارت، رولان: النقد البنيوي للحكاية، ترجمة انطوان أبو زيد، منشورات عويدات بيروت- باريس، ط1/ 1988، ص74.**

[35] **نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة الهذيان، ينظر ص 111/110.**

أنه لم يكن في تلك العربات سوى رجل وحيد يرفع يده بعلامة النصر

تنحرف العربات وتتوقف

وبصعوبة يمكن أن يرى المرء أرجل جنود تطل من الصناديق، لن يمضي وقت طويل قبل أن يرى ثقوباً واسعة في أكثر من جبين!....

(كان الحلم بالنسبة إليه لا يقلّ طولاً عن أسبوع) "[36].

إنّ الحلم رؤيا تتضمن حدثاً أو مجموعة أحداث فوق – طبيعية، تشكل بتداخلها نصاً عجائبياً يثير الحيرة، ويحمل القارئ على التردد في تفسير أحداثه[37]؛ إذ يطول الحلم السابق مستغرقاً سبع صفحات على مستوى النص، لكنه استغرق على مستوى الخيال بضع ثوانٍ، بدت للحالم وكأنها أسبوع في الزمن الطبيعي، والمتتبع لمسار الحلم، يدرك أنّ اختلاط المشاهد وتداخلها، هو انعكاس لحالة التفكير والهذيان التي يعيشها "رشيد النمر"، وامتداد للواقع المعيش، وتعبير عن رغبات مكبوتة تراوده بشدة. فدخوله في تجارة الأقفاص، وبيع العصافير، ثم تلذذه بقتلها، في محاكاة لواقع السلطة التي يعيشها، قتل وقمع وكبت؛ إذ تغدو الشخصية تابعة وتمارس التبعية على ذاتها، فتقتل نفسها، وتقتل أفراد عائلتها وتدفنهم، في فعل رمزي يدل على قتل الأحلام والرغبات، وفرض التبعية المطلقة، هرباً من المساءلة والمسؤولية.

يضاف إلى ذلك فضوله لمعرفة ماذا يقع في جهة الغرب، بعد أن حذّره الموظف السابق في المركز الإعلامي من عدم ارتقاء السطح والنظر إلى تلك الجهة.. خوفه من الحلم في بلد ترصد فيه الأحلام، إضافة إلى تردي الأوضاع الاجتماعية، فمشكلة تلوث المياه وسرقتها، ورائحة جاره الدكتور الذي يسرق المياه الملوثة من صنابير الجيران، ليستحم بها، على الرغم من رائحتها الكريهة....وغيرها من تفاصيل الواقع التي تتزاحم في ذهن رشيد، وتتشابك بصورة خيالية، معيدة فرزها في صور ومشاهد غريبة، فـ (عمل الحلم كأسلوب رمزي لجعل جانب النص المتعلق بطبيعة الحياة النفسية للشخصية أشدّ وضوحاً، وللكشف عن الربط بين ما هو كائن في عمق الشخصية، وما هو خارجها/ في سياق سلوكها خلال النص كله/)[38].

فكل ما ورد في الحلم من علامات ورموز ومشاهد غريبة، تصب جميعها في حياة "رشيد"، وحالة الهذيان التي يعيشها، وتؤكد أن القائد ما هو إلا "رشيد"؛ إذ " تتحرك الكاميرا صعوداً وهبوطاً لتكشف عن مشهد لائق باستقبال قائد عائد من الحرب وعلى جانبيه أكثر من شمس، حدائق وطرق بيضاء كالثلج ..منصة وأوسمة تتلألأ،... نقطة الدم على حذاء القائد، تقطيبه لإحساسه برائحة غريبة تذكره بشيء أليف ويعرفه جيداً، صعود الكاميرا إلى أعلى السطوح ترصد ما يكمن فوقها..."[39]. وتأتي خاتمة الحلم لتؤكد الدلالات:

" ..... تتقدم الكاميرا في تلك الحركة التي يطيب للعاملين في السينما أن يدعوها: (زووم إن)، (نحو يديّ طفل صغير لا يستطيع أن يغلق السّحاب)

وفجأة تتقدم من خارج الكادر يدان كبيرتان، وتحلان المشكلة، بخبرتهما الطويلة في هذا المجال!

وهنا يقفز رشيد النمر من نومه فزعاً.

وقد أدرك أنّ تلكما اليدين اللتين ظهرتا في مشهد الفيلم الأخير ما كانتا، ويا للهول، سوى يديه!"[40].

---

**[36] ينظر الرواية السابقة، ص58/57.**

**[37] ينظر تودوروف، تزفتان: مدخل إلى الأدب العجائبي، ترجمة الصديق بو علام، تقديم محمد برادة، دار الكلام، الرباط، ط1، 1993، ص55/53.**

**[38] الحديد، خولة حسن: الحلم والذاكرة في نثر بورخيس، دار الطليعة الجديد، دمشق، ط1/ 2006، ص97.**

**[39] ينظر نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة الهذيان، ص63/57.**

**[40] الرواية السابقة، ص63.**

الانتقال من الخيال إلى الواقع بإقحام يدي "رشيد النمر"، ردّه إلى عالم الواقع، فيغلق الكاتب الحلم بعبارة "يقفز من نومه فزعاً"؛ إعلاناً بعودة زمن الحكاية إلى مجراه الطبيعي.

كلها مقاطع حلمية استشرافية، فالعجائبي ( يطابق مستقبلاً، وفيه تتلقى الأحداث التي تبدو على طول القصة فوق – طبيعية، تفسيراً عقلانياً في النهاية)[41]، فعلى الرغم من غموضها وتداخلها، فإنها أنتجت نصاً دلالياً أمكن تأويله وترقب نتائجه، ويأتي تحقق حلم "رشيد النمر" في نهاية الرواية:

" أدرك أن العين عليه، وأنه غدا مصدر الوحي لهؤلاء الرجال الذين تحوّلوا إلى جيش عظيم له، دون أن يخطر بباله أن يكون في يوم من الأيام قائداً في الكشافة!!"[42].

فالحلم من العناصر الأساسية التي تشتغل على مستوى الزمن، من خلال ما يولّده من أحداث مختلطة تتصف بالعجائبية، تصنع الحيرة والتساؤل في المشاهد، فيمنح النص بعداً رمزياً، ويجعله مفتوحاً للتأويل والتفسير، مرهوناً بالسياق الزمني في علاقة استباقية، و(هذا التداخل الفني بين الواقع والحلم يمثل اعترافاً لا شعورياً في اللاوعي من الروائي، بأن الحلم امتداد للواقع في الصراع الروائي والحياتي، كما يؤكد قاعدة سيكولوجية وهي تلازم الحلم والواقع)[43].

كما تمتلئ الرواية بالاستشرافات عبر مشاهد رمزية فتحت الزمن بشكل واسع على المستقبل، فازدياد حجم العصفور، وتمرّده، وتمزيقه أسلاك القفص.. وغناؤه على شرفة رشيد، ونجاته من محاولة رشيد قتله، وتفريخ البيوض،... كلها أحداث محمّلة بالأمل والحرية وكسر القيد، في استشراف مستقبل أفضل، وتجاوز لحدود الواقع الأليم.

و يكون **الحلم**، أحياناً، تشكيلاً فنياً يقطع رتابة السرد، بتقديم الحدث بأسلوب فني يحرّك مخيلة القارئ ويشوقه، ويكسب النص حيوية وبعداً رمزياً، فـ ( الأحلام في بعض حالاتها شكل من أشكال الإلهام)[44]. ففقدان "خالد" محبوبته "ياسمين"، جاء على شكل رؤية في المنام، حين تراءى له بأنه فقد شخصاً عزيزاً، تجسّد في الرواية على أنه ابن فرسه "الحمامة":

" ما الخبر؟ قال : عزيز مات.

- من؟ – مولود الحمامة. كان ذكراً.

راحوا يكفنونه، ويحفرون له قبراً عميقاً يليق بأمير.

- كريم لا يجوز أن تنهش لحمه كلاب البر أو وحوشه: قال الحاج محمود.

وكان الحاج محمد السعادات وحوله رجاله. وحين استدار هو وجدوا أنفسهم وجهاً لوجه، مع الحمامة التي تبعتهم باكية.

رفع خالد طرف عباءته ليمسح دموعه، لكن الحمامة اختفت فجأة قبل وصول يده إليها، هبّ فزعاً.

اللهم اجعله خيراً. "[45]. كلمة "عزيز" تشير إلى اسم شخص، فتزرع الحيرة في مَنْ يكون هذا الشخص الذي فقده "خالد"، ثم توحي الكلمة بعد التفكير بأنها قد تدل على شخص عزيز مقرّب من "خالد"، ويأتي التأويل والتفسير مباشرة في المقطع السردي الآتي:

---

**[41] ينظر تودوروف، تزفتان: مدخل إلى الأدب العجائبي، ص68/66.**

**[42] نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة الهذيان، ص 190.**

**[43] عبيد، د. محمد صابر- د. سوسن البياتي: الكون الروائي (قراءة في الملحمة الروائية "الملهاة الفلسطينية" لإبراهيم نصر الله) – دراسات أدب- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1/ 2007، ص 146.**

**[44] عمار، عبد الرحمن: بنية التشابه بين المؤلف والشخصيات الروائية، - دراسة نقدية- منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2007، ص 70.**

**[45] نصر الله، إبراهيم: رواية زمن الخيول البيضاء، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط11، 2014م، ص150.**

"راح يقص حلمه على أمه والدمع يفيض من عينيها، وحين سألها: ولماذا كل هذا البكاء؟ نظرت إلى الحاج محمود وقالت: لأنك فقدتها. ولكنها هنا. ليس الحمامة. ياسمين؟!!

صمتت منيرة وأعتمت دموعها أكثر. وامتدّت يد الحاج إلى كتف ابنه: قسمة ونصيب!!"[46].

تتحقق الرؤيا في صبيحة اليوم الذي يليه مباشرة، بخبر زواج محبوبته "ياسمين"، لتتضح صحتها، فجاء الاستشراف على شكل رؤيا حلمية، منحت النص شكلاً فنياً متجدداً، و ( كون الحلم أحد البنى النصية المهمّة التي تتيح عدداً لا متناهياً من التأويلات، كذلك فقد أسهم في تأسيس علاقة متميزة بين الكاتب والقارئ، واشتغال جديد للإدراك الجمالي)[47].

وفي رواية "**زيتون الشوارع**" تشكّل "الحمامة" **معادلاً موضوعياً** لـ "سلوى" في اضطرابها وخوفها، وبحثها عن الأمان، ويمثل فعل سقوطها من نافذة غرفة "عبد الرحمن"، إرهاصاً بسقوط سلوى أو انتحارها، فعكس نهايتها الغامضة المفتوحة على أسئلة كثيرة: هل نشر المخطوط – المتضمن قصة سلوى وعذابها– على حقيقته كان سيغير حياة سلوى؟! في دولة تنتهك الإنسان، ولا تحترم دماء الشهداء:

" أين ذهب كلامي؟ أين ذهبتُ...أنا؟ لقد جئتك كاملة، رغم أنهم اقتطعوا من جسدي وروحي ما يكفي لأن أكون قد تلاشيت.

وتحرّكت الحمامة بفعل الصرخة، فأوشكت أن تقع.

لو أمضت فترة أقلّ بقليل في القفص الذي حُبست فيه، لكان بإمكانها الآن أن تطير، لكنّ انعقاد جناحيها هو السبب. هل كان يدرك ذاك الذي جاء يبيعها أنها لن تستطيع الطيران حتى وهي تملك جناحين كاملين، فاطمأنّ؟"[48].

تمثّل حالة الحمامة إسقاطاً لحالة سلوى، فهي كالحمامة الحبيسة في قفص، لن تستطيع التحرر والانطلاق على الرغم من امتلاكها جناحين، لأنّ روحها ممزقة.

يأتي الإسقاط السابق تمهيداً لما ستكون عليه نهاية "سلوى"، التي لجأت للصحفي "عبد الرحمن" ليسرد قصة عذابها، ويفضح الفاسدين، ويجسّد حدث سقوط الحمامة في الصفحات التالية، إجابة استباقية لما سيؤول عليه مصير سلوى، واستشرافاً بنهايتها وسقوطها المدوّي، وذلك في المشهد الأخير من الرواية؛ إذ يصوّر مطاردة الناس لـ "سلوى"، ومحاولتهم قتلها؛ برميها مرات عدة من أعلى أحد الأبنية[49]. في مشهدٍ عجائبي يثير الخوف والقلق والحيرة في القارئ وفي الشخصية، و (يضعنا أمام مأزق ذي حدّين: نصدّق أو لا نصدّق)[50]. فالعجائبي يدخل الإنسان في عالم الوهم والحيرة والتردد، برفعه من الواقع نسبياً، وإدخاله تدريجياً في عالم الخيال اللانهائي، المستمر والمفتوح على المستقبل، لذلك فإننا نجد رواية "**زيتون الشوارع**" تجنح في نهايتها إلى العجائبية[51]؛ كجنوح عن خط الزمن الطبيعي، لتصير الخاتمة مفتوحة على المجهول، ونوعاً من الاستشراف، بما فيه من تجاوز للواقع ولزمنه المقيت.

**[46] الرواية السابقة، ص 151/150.**
**[47] الحديد، خولة حسن: الحلم والذاكرة في نثر بورخيس، ص108.**
**[48] نصر الله، إبراهيم: رواية زيتون الشوارع، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط5، 2013م، ص64.**
**[49] ينظر الرواية السابقة، ص 203/197.**
**[50] تودوروف، تزفتان: مدخل إلى الأدب العجائبي، ص111.**
**[51] ينظر نصر الله، إبراهيم: رواية زيتون الشوارع، ص203/191.**

وقد أفاد الكاتب من **تكرار بعض العبارات** في استشراف المستقبل، بشكل ضمني، فعبارة "عمر الرجال أطول من عمر الإمبراطوريات"[52] التي كرّرها "سيف الدين المسعودي" في رواية" زمن الخيول" أرهصت بنهاية الاستعمار، وجاءت رداً على قول "عمر الدول أطول من عمر الناس".

شخصية "سيف الدين المسعودي" ثانوية في الرواية، لكنها تمثل روحاً وطنية ونضالية قوية مؤمنة بالوطن وحتمية النصر، فأجرى الكاتب على لسانه عبارة جسّدت الصراع بين زمنين: زمن الدول – الزمن السياسي / وزمن الشخصيات – زمن النضال، التوالد والخصوبة والاستمرار... وتحققت مقولته، بزوال الاحتلال العثماني عن أرض فلسطين، واستمرار راية النضال بقتل ابنه "خالد" للضابط الإنكليزي " بترسون"، مجسّداً استمرار النضال جيلاً بعد جيل، فأعطت مقولته للزمن بعداً أبدياً.

### 3- الاستشراف التلميحي:

في هذا النوع يلمّح بشكل خاطف لحدث مهم سيقع، ويؤثر في سير الأحداث، وفي الشخصيات وعلاقاتها ببعضها ومصائرها. وعادة ما نلمحه بشكل إيحائي مبطن بعبارة، أو عنوان، أو .... ، وهذا النوع من الاستشراف يحتاج إلى يقظة القارئ وحنكته، وقدرته على التقاط الإشارة التلميحية، وفهمها، واستنباط ما يختفي وراءها.

فإحساس "سلمان بيك" بشيء يعتصر قلبه، كان إيحاءً مبطناً أو نبوءة بحدوث أمر خطير، مع أن الحكايات التي كتبها له الدكتور "كريم" عن مغامراته العاطفية، كانت كافية لتغطي جلساته مع مجموعته" السبعة الكبار" التي ضمت وزراء ومسؤولين:

" كنتُ مطمئناً إلى أنّ هناك رصيداً كافياً من الحكايات لديّ، لكن قلقاً ما تسرّب إلى قلبي، طعنة ما تسرّبت إلى قلبي!"[53].

العبارة الأخيرة ألمحت بالخطر القادم الذي اكتشفه "سلمان" مؤخراً، بعد جلسة ترفيهية مع أصدقائه، حين علم بخداع الدكتور "كريم"، وأنّ ما كتبه من حكايات له، ما هي إلا قصص أفلام أجنبية جمعها ولخصها على مزاجه:

"– نصيحتي، انسَ هذه القصة، وإذا ما أردتَ أن أكون صادقاً معك أكثر، فانسَ القصة التي قلتها لنا في اللقاء السابق أيضاً!

– لماذا؟

– لأن هنالك فيلماً آخر قصتك تشبه قصته تماماً! هل أقول لك اسمه؟!

– لا!

جلسة ليس فيها سوى إعادات باهتة لحكايات الأفلام، مشاهدة الأفلام أفضل منها."[54]

فالطعنة التي شعر بها "سلمان" كانت استشرافاً بحدث مهم سيغير علاقات الشخصيات، و مجرى الأحداث؛ إذ لم يطل الأمر حتى انتقم "سلمان بيك" من الدكتور "كريم"، بطعنة خنجر من رجل أرسله إليه.

في رواية "قناديل ملك الجليل" يأتي الاستشراف التلميحي بقرب نهاية القائد "ظاهر"، ونهاية مسيرته النضالية المشرقة في إقامة دولة فلسطينية موحدة، على يد قائد جيشه "الدنكزلي":

---

**[52] نصر الله، إبراهيم: رواية زمن الخيول البيضاء، ص 293/ 294.**

**[53] نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة الهاوية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2013م، ص57.**

**[54] الرواية السابقة، ص310/309.**

"على ظهر حصانه كان ظاهر. رآه "الدنكزلي" فراح يركض نحوه. أمسك بيده قبل عبوره البوابة، وقبّلها عدة مرات! أحسّ ظاهر بطعنة ما، وبأنّ الدم قد تدفق من ظاهر يده. وفي تلك اللحظة تأكدت للشيخ مخاوفه كلها!. كانت المرة الأولى التي يفعل "الدنكزلي" فيها أمراً كهذا."[55].

إحساس "ظاهر" بطعنة في يده، ألمحت إلى خيانة قائد جيشه، وإحساسه بتدفق الدم منها، استشراف تلميحي يمقتله؛ إذ تتكشف خيانة "الدنكزلي" في نهاية الرواية، بتآمره مع السلطة العثمانية لاحتلال "عكا"، وتسليمها رأس القائد "ظاهر": " صوّب الدنكزلي وأطلق رصاصته القاتلة، التي أصابت قلب ظاهر. لكنه لم يسقط. ظلّ واقفاً والدم يتدفّق من صدره، وعيناه مثبتتان إلى وجه الدنكزلي، العينان نفسهما القويتان الثاقبتان. عند ذلك سحب الدنكزلي سيفه، وأغار على ظاهر، وبكل قوته قطع عنقه، ففار الدم من جسده، متحولاً إلى أكبر شعلة قنديل يمكن أن يراها أحد تحت شمس، وراحت تتقد وتعلو، وتعلو"[56].

إنّ انقلاب قائد الجيش على "ظاهر" مع عدد كبير من عسكره، عند مهاجمة الأسطول العثماني لـ"عكا"، أدّى إلى نهايته التي باتت متوقعة، بعد أن بث الراوي عباراتٍ تلميحية أنبأت بذلك، وأسهمت في تسارع الأحداث، ودفعها نحو نهايتها.

في رواية "زمن الخيول البيضاء" يبث الراوي كثيراً من العبارات الاستشرافية، التي ألمح بها إلى أحداث ستقع وتغير في علاقات الشخصيات، ومجرى الأحداث. كعبارة: " وكم أفزعه هذا "، التي عبّرت عن ذلك الشعور الغامض الذي أحسّ به "خالد" في منزل محبوبته "ياسمين"، حين تقدّم لخطبتها، فانحنت وقبّلت يد والده الحاج "محمود" ثم أمسكت بيده وقبّلتها:

"كان الأمر أكثر من حقيقة، ولكنه بدا له في غمرة تلك الأحاسيس التي فاضت غامرة روحه، بأن ما يعيشه الآن هو حلم لا غير، بل ذكرى. وكم أفزعه هذا"[57].

إنّ شعور "خالد" بأنّ ما يحدث هو مجرد حلم، سيصبح فيما بعد ذكرى، بثّ في قلبه الخوف والفزع، الذي كان استشرافاً بفقدانه محبوبته "ياسمين" فيما بعد، حين أنهى أهلها خطبته منها، وزوجوها لابن عمها[58].

كما يأتي الاستشراف التلميحي من خلال عنوان كتاب "الجحيم"[59] لدانتي، الذي اشتراه "محمود" ابن الحاج "خالد"، وما يحمله من دلالات الاحتراق والعذاب؛ إذ تزامن حدث شرائه مع الزحف اليهودي على المدن الفلسطينية لاحتلالها، فحمل في طياته تلميحاً للجحيم الذي سيحلّ بفلسطين، والذي بدأت بوادره بالتكشف والظهور، من خلال تسارع الأحداث بوتيرة عالية، وتوسع الامتداد الصهيوني فوق أرض فلسطين، وازدياد المستعمرات، إضافة إلى العذاب الذي حلّ بأهل قرية "الهادية" على يد العصابات اليهودية. ويستمر الراوي في بث عبارات تلميحية حول الصورة التي ستنتهي بها الأحداث، بتساؤل على لسان إحدى الشخصيات التي تعرضت للطرد والتهجير من منزلها على يد العصابات اليهودية: " إذا كان هذا يحدث للقدس نفسها، فهل تعتقد أن الهادية ستنجو؟!"[60].

على الرغم من أنّ السؤال جاء مفتوحاً على احتمالات كثيرة. فإنّ العبارة الأولى ألمحت إلى امتداد ما يحصل في العاصمة "القدس" من نهب وقتل واحتلال، إلى قرية الهادية، فاستشرفت مصيراً قاسياً لها؛ إذ لم يطل الوقت حتى

**[55] نصر الله، إبراهيم: رواية قناديل ملك الجليل، ص542.**
**[56] نصر الله، إبراهيم: رواية قناديل ملك الجليل، ص552.**
**[57] نصر الله، إبراهيم: رواية زمن الخيول البيضاء، ص129.**
**[58] ينظر الرواية السابقة، ص 150/ 151.**
**[59] الرواية السابقة، ص413.**
**[60] الرواية السابقة، ص479.**

اقتحمتها العصابات اليهودية ، خرّبت وقتلت، وهجّرت أهلها. ويأتي المشهد الأخير؛ مشهد احتراق القرية، إجابة عن السؤال السابق، وتحققاً للعذاب والمعاناة اللذين ألمح إليهما الراوي من خلال عنوان الكتاب" الجحيم":

"كان الحمام يطير محترقاً، قاطعاً مسافات لم تفكر يوماً أن حماماً بأجنحة مشتعلة يمكن أن يبلغ نهاياتها، وحيثما راح يسقط في البساتين والكروم والسهول المحيطة كانت نار جديدة تشتعل. وحينا وصلت العربات إلى تلك النقطة العالية التي تتيح للناس مشاهدة الهادية للمرة الأخيرة، كانت ألسنة الحرائق تلتهم الجهات الأربع"[61].

بينما جاء الاستشراف التلميحي في رواية" **شرفة العار**" عبر عنوان الفيلم الذي حضرته "منار" مع حبيبها "عصام" في السينما "**سيكون هنالك دم**"، وما يحمل من دلالات القتل والموت، تثير في قلب القارئ نوعاً من الحذر والترقب، وإحساساً بتصعيد الأحداث، وتتحقق دلالة العنوان في حدث اغتصاب "يونس" لـ "منار"، الحدث الذي زلزل حياتها وحياة أسرتها:" أمرها بأن تتحرك، تحرّكت، فأبصرت هناك فوق الغطاء الأبيض للسرير بقعة دم، كانت أكثر سواداً من أيّ دم رأته من قبل"[62].

هذا الحدث الذي يستشرف بدوره مزيداً من الدماء، ويمتد أثره حتى نهاية الرواية، في مشهد قتل "أمين" لأخته "منار"، غسلاً للعار الذي لحق بالعائلة:

"رفع أبو الأمين عينيه ونظر صوب الجسد الساكن الغارق في بحيرة دم صغيرة"[63].

أدّى الاستشراف التلميحي دوراً وظيفياً مهمّاً على مستوى النص، بما قدّمه من إيحاءات استباقية لما سيقع من أحداث، حرّكت مخيلة القارئ، ودفعته للتفكير في دلالاتها ومعانيها، وسط غموض يكتنف السياق، مما زاد من عنصر التشويق لتوقع الأحداث القادمة.

لقد سعى الكاتب إبراهيم نصر الله من خلال توظيف تقنية الاستشراف، إلى تشكيل بناءٍ سردي جديد، حافلٍ بالاحتمالات، يثير لدى القارئ الأسئلة والشك والحيرة، بغية رصد الواقع، واستشراف آفاق المستقبل، فأدّى الاستشراف بأنواعه المختلفة دوراً مهمّاً في المحافظة على حيوية السرد، و ترابط الأحداث، وتماسك البناء الروائي.

## الاستنتاجات والتوصيات:

مما تقدّم نخلص إلى القول:

– جاء النص الروائي لدى الكاتب إبراهيم نصر الله، حافلاً بالاحتمالات والتوقعات، وذلك من خلال الإعلان المسبق عن الحدث، فأسهمت تقنية الاستشراف في إثارة التشويق لدى القارئ، لمعرفة ما سيقع من أحداث؛ ووسّعت أفق التوقع والانتظار لديه، لتتبع مسار الأحداث، واستشراف مصائر الشخصيات.

– أفاد الكاتب نصر الله من تقنية الاستشراف، في إقامة نوع من التوازن في حركة الزمن السردي، التي ضمّنها كثيراً من الاسترجاعات؛ لغايات فنية ودلالية، مما أسهم في إنتاج بنية زمنية متماسكة، مترابطة الحوادث.

– أجاد الكاتب توظيف تقنية الاستشراف بأسلوب فنيّ، دلّ على مهارته في تشكيل بنية زمنية عميقة الدلالة، فأدّى الاستشراف دورين، هما: دور وظيفي فعّال في تصعيد الأحداث، ودلالي في تصوير الواقع، وذلك من خلال تصوير حالة الشخصيات في أحلامها وطموحاتها، وسعيها الدائم لسباق الزمن، في محاولة مضنية لمدّ أنظارها نحو

**[61] الرواية السابقة، ص506.**
**[62] نصر الله، إبراهيم: رواية شرفة العار، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط5، 2016م، ص114.**
**[63] الرواية السابقة، ص233.**

المستقبل، لكنّ الزمن كان دائماً أسرع من خطواتها، فأتى التوقع والتنبؤ والحدس محاولة لتأويل الحاضر في ضوء الماضي، لاستشراف آفاق المستقبل، وربما للوقوف على نهايات ذات دلالات معينة وعميقة، يلتقطها المتلقي تبعاً لقدراته الذهنية والفنية.

## المصادر/ الروايات

**نصرالله، إبراهيم :**

1- *تحت شمس الضحى*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط7، 2015م
2- *زمن الخيول البيضاء*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط11، 2014م
3- *زيتون الشوارع*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط5، 2013م
4- *شرفة رجل الثلج*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط3، 2014م
5- *شرفة العار*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط5، 2016م
6- *شرفة الهاوية*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2013م
7- *شرفة الهذيان*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط5، 2015 م
8- *طفل الممحاة*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط4، 2014م
9- *قناديل ملك الجليل*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط5، 2014م

**المراجع:**

1- بارت، رولان: *النقد البنيوي للحكاية*، ترجمة أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط1/ 1988.

2- بحراوي، حسن : *"بنية الشكل الروائي، ( الفضاء – الزمن – الشخصية)* المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990.

3- برنس، جيرالد: *قاموس السرديات*، ترجمة السيد إمام، ميريت، القاهرة، ط1/ 2003.

4- تودوروف، تزفتان: *مدخل إلى الأدب العجائبي*، ترجمة الصديق بوعلام، تقديم محمد برادة، دار الكلام، الرباط، ط1، 1993.

5- جينيت، جيرار: *خطاب الحكاية / بحث في المنهج/* ترجمة: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلى. المشروع القومي للترجمة، ط2/ 1997.

6- الحديد، خولة حسن: *الحلم والذاكرة في نثر بورخيس*، دار الطليعة الجديد، دمشق، ط1/ 2006.

7- زيتوني، د. لطيف: معجم *مصطلحات نقد الرواية – عربي- انكليزي- فرنسي*، دار النهار للنشر، لبنان، ط1/ 2002.

8- زينتشينكو، تاتيانا: *الذاكرة في علم النفس التجريبي والمعرفي* ، ترجمة د. بدر الدين عامود، وزارة الثقافة- الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2016م.

9- عبيد، د. محمد صابر- د. سوسن البياتي: *الكون الروائي (قراءة في الملحمة الروائية "الملهاة الفلسطينية" لإبراهيم نصر الله)* – دراسات أدب- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1/ 2007.

10- عمار، عبد الرحمن: *بنية التشابه بين المؤلف والشخصيات الروائية* – دراسة نقدية- منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2007.

11- فورستر، أ.م : *أركان القصة*، ترجمة كمال عياد جاد، دار الكرنك، القاهرة /1960.

12- لوبوك، بيرسي: *صنعة الرواية*، ترجمة د. عبد الستار جواد، دار مجدلاوي، عمان ط2 / 2000 م – 1420هـ/ .

13- يقطين، د. سعيد: *السرد العربي- مفاهيم وتجليات*، دار رؤية ، القاهرة/ ط1/ 2006.